المذهب الأشعري في المغرب العربي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين

دراسة عقدية

بيان عبدالرحمن العثماني، سلوى المحمادي
قسم العقيدة والدعوة -جامعة الملك عبد العزيز-المملكة العربية السعودية

الملخص

يتتبع البحث المذهب الأشعري في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، ويعرض أهم الأعلام الأشاعرة الذين عرفهم المغرب العربي، كما يبين دور ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري، وذلك من خلال أربعة مباحث: بين المبحث الأول أهم مصطلحات البحث، وعرض المبحث الثاني لتاريخ الأشعرية في المغرب العربي قبل ابن تومرت بينما كان المبحثان الثالث والرابع، في بيان عقيدة ابن تومرت والمذهب الأشعري في عهده. وقد توصل البحث لعدد من الاستنتاجات، من أهمها: أن المذهب الأشعري في المغرب العربي قد مر بأربعة مراحل، تسرب خلالها الفكر الأشعري إلى المغرب، كما تمثل دور ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري في المغرب العربي بأمرين: استخدام السلطة السياسية في نشر المذهب الأشعري في المغرب العربي، والتأصيل العلمي للمذهب.

الكلمات المفتاحية: المذهب الأشعري-المغرب العربي-القرن السادس الهجري

Ash'ari Doctrine in the Maghreb during the Fifth and Sixth Centuries AH

Abstract

The research traced the Ash'ari school of thought in Maghreb Region during the fifth and sixth Hijri centuries. It identified the most prominent Ash'ari scholars known in the Maghreb Region and discussed the role of Ibn Tumart in spreading the Ash'ari doctrine. The study is divided into four sections: the first section covered important research terminology, the second section presented the history of Ash'arism in the Maghreb Region before Ibn Tumart, while the third and fourth sections delved into Ibn Tumart's creed and the Ash'ari school during his time. Most significant results showed that Ash'ari School in the Maghreb region underwent four stages, during which Ash'ari thought infiltrated the region. In addition, Ibn Tumart's role in spreading the Ash'ari School in the Maghreb region was twofold: using political authority to disseminate the Ash'ari School in the Maghreb region and providing scholarly legitimacy to the school.

Keywords: *Ash'ari School - Maghreb region - fifth and sixth Hijri Centuries*

المقدمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه إلى يوم الدين.

إن المغرب العربي لم يمنعه موقعه الجغرافي البعيد عن الشرق، من التأثر بالحوادث السياسية والعقدية التي كانت تجري في المشرق، فكثير من الحوادث التي حصلت في المشرق لقيت صداها في المغرب العربي، وكان المذهب الأشعري أحد الفرق التي نشأت ابتداءً في المشرق ثم انتقلت إلى المغرب العربي، ومن الأهمية بمكان الوقوف على ظروف انتقال المذهب وتاريخ وصوله للمغرب العربي، ومعرفة أهم أعلامه خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، فكانت هذه الدراسة الموسومة ب (المذهب الأشعري في المغرب العربي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين: دراسة عقدية)

مشكلة البحث: جاءت هذه الدراسة للإجابة على عدة أسئلة منها:

- متى عرف المغرب المذهب الأشعري؟
- من هم أهم الأعلام الأشاعرة الذين عرفهم المغرب العربي؟
- هل ابن تومرت ينتمي للمذهب الأشعري؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أن قراءة التاريخ مهمة لطالب علم العقيدة؛ إذ هي تختصر الكثير من الجهد في فهم مقالات الفرق والمذاهب، بالإضافة إلى أن الباحث العقدي يستطيع من خلالها معرفة أهم التطورات في مقالات الفرق، وحين كانت بعض هذه الفرق والمذاهب لا زالت موجودة في وقتنا الحاضر كما هو المذهب الأشعري؛ فإن من الأهمية بمكان الوقوف على تاريخ هذا المذهب ومعرفة كيفية انتقاله من المشرق، والوقوف على أهم الأعلام الذين ساعدوا في انتقاله.

أهداف البحث:

- الوقوف على مراحل انتقال المذهب الأشعري من المشرق إلى المغرب العربي
- بيان أهم الأعلام الأشاعرة في المغرب العربي.
- بيان دور ابن تومرت في انتشار المذهب الأشعري في المغرب العربي.

منهج البحث: استلزمت طبيعة الموضوع الجمع بين أكثر المناهج المتبعة في الدراسات العلمية النظرية، حيث مزج البحث بين المنهجين التاريخي والاستقرائي، وكذلك المنهج النقدي، مع اعتبار التفاوت في درجة استخدامها من موضع لآخر وفقاً لظروف البحث واستخداماته.

خطة البحث: جاء البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وتشتمل على مشكلة البحث وأهميته ومنهجه وأهدافه.

- المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث (الأشعرية، المغرب العربي).
- المبحث الثاني الأشعرية في المغرب العربي قبل ابن تومرت.
- المبحث الثالث: الأشعرية في المغرب العربي في عهد ابن تومرت.
- المبحث الرابع: مذهب ابن تومرت العقدي.
- الخاتمة: وفيها أبرز النتائج وأهم التوصيات.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث (الأشعرية، المغرب العربي):

- الأشعرية: فرقة كلامية ظهرت في القرن الرابع الهجري، تنسب إلى أبي الحسن الأشعري (الشهرستاني، 1433هـ، 94/1) وهو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق، يكنى بأبي الحسن الأشعري، والأشعري نسبة إلى أشعر قبيلة مشهورة باليمن، ولد في البصرة سنة [260هـ] وسكن بغداد وتوفي بها سنة [324هـ] في أرجح الأقوال (ابن عساكر، 1404هـ، 56) (البغدادي، 1422هـ، 260/13) مرت عقيدة الأشعري بثلاث مراحل: مرحلة الاعتزال وفيها كان متأثراً بالجبائي[1] وقد تبوأ فيها مكانة عالية خاصة عند شيخه الذى كان ينيبه في بعض مناظراته، ثم انتقل الأشعري إلى مرحلة جديدة؛ حيث أعلن رجوعه عن مذهب المعتزلة، وأعلن بين جموع الناس أنه يتبرأ من جميع أقواله السابقة، وأظهر بعض مؤلفاته الجديدة، وفي هذه المرحلة كان الأشعري قد تأثر بابن كلاب[2]، "إن أهم ما يميز مذهب ابن كلاب: قوله في مسألة الكلام والصفات الاختيارية لله تعالى، أما الصفات اللازمة لله تعالى فهو يثبتها مثل السمع والبصر والعلم والقدرة، ومثل اليدين والوجه والعينين والعلو والاستواء وغيرها لكنه قال بامتناع أن تقوم الصفات الاختيارية بذات الله مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك" (المحمود، 1415هـ، 386/1)، ويمثل هذه المرحلة كتابه: "اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع". ثم انتقل الأشعري إلى مرحلة جديدة متبعاً فيها مذهب أهل السنة والجماعة في الجملة، غير أنه بقي فيها متأثراً بالكلابية. ومما ينبغي التنبيه إليه في هذا المقام أن انتساب الأشاعرة إلى أبي الحسن الأشعري إنما هو بعد تركه الاعتزال وانتسابه لمذهب ابن كلاب (نور، 1416هـ، 29/1) وقد تطورت الأشعرية وتعمقت في المناهج الكلامية حتى أصبحت في القرن الثامن الهجري وما بعده فرقة كلامية، فلسفية، فكانت أبرز مظاهر التطور في المذهب الأشعري ما يلي:

1- القرب من أهل الكلام والاعتزال.
2- الدخول في التصوف، والتصاق المذهب الأشعري به.
3- الدخول في الفلسفة، وجعلها جزءا من المذهب (المحمود، 1415هـ، 511/2)

[1] محمد بن عبد الوهاب، أحد أئمة المعتزلة، ولد سنة (235هـ) كان إماماً في علم الكلام، وله في الاعتزال مقالات مشهورة، توفي سنة (303هـ). انظر: وفيات الأعيان 267/4.

[2] أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة والجهمية، توفي بعد سنة 240 هـ بقليل. انظر: طبقات الشافعية 299/2.

- المغرب العربي: هو مصطلح يقصد به الأقاليم الواقعة غرب مصر، والتي تشمل شمال إفريقيا، وتتضمن أقطار ليبيا وتونس، والجزائر، والمغرب، وهو إقليم واسع؛ لذا اصطلح على تقسيمه إلى ثلاثة أقاليم، بحسب موقعها من الشرق إلى الغرب وهي:

أ-إقليم أفريقية[3]: وهو ما يعرف بالمغرب الأدنى، ويمتد من برقه[4] في الشرق إلى مدينة بجاية[5] في الغرب، كانت حاضرته مدينة القيروان[6].

ب- إقليم المغرب الأوسط: يقع شرق مدينة وهران[7]، كانت حاضرته مدينة تلمسان[8].

ت- إقليم المغرب الأقصى: ويمتد من ساحل المحيط الأطلسي إلى تلمسان غرباً وشرقاً، ومن سبته[9] إلى مراكش ثم إلى سجلماسه[10] شمالاً وجنوباً، كانت حضرته أولاً مدينة فاس[11]، ثم مراكش (أبو الفداء، 850م، 122)

المبحث الثاني: الأشعرية في المغرب العربي قبل ابن تومرت:

على الرغم من ظهور الفرق التي حادت عن منهج السلف - رضي الله عنهم- في المغرب العربي[12]من خوارج[13] ومعتزلة[14] وإسماعيلية[15]، فقد ظل المغرب العربي على مذهب السلف -رضي الله عنهم- في الاعتقاد بإثبات نصوص الكتاب والسنة، وإثبات الصفات وإجرائها على ظاهرها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي، وتنزيه الخالق عز وجل عن التشبه بذوات الخلق. وقد استمر الأمر كذلك حتى عودة ابن تومرت من رحلته إلى المشرق وذلك في سنة [510هـ] حيث جاء في كتاب الاستقصاء : " وأما حالهم -أي أهل المغرب العربي- في الأصول والاعتقادات فبعد أن طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولاً والرافضة[16] ثانياً أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر... واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه من الجزم بعقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة... ثم عاد محمد بن تومرت إلى المغرب ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره وسمى أتباعه الموحدين تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد وجعل ذلك ذريعة إلى الانتزاء على ملك المغرب" (السلاوي، 1418هـ، 196/1).

اتفق معظم المؤرخين على دور ابن تومرت في نشر الأشعرية في بلاد المغرب بعد عودته من المشرق أي خلال القرن السادس الهجري، غير أن السؤال المهم هنا: هل كانت بلاد المغرب العربي تعرف الأشعرية قبل قدوم ابن تومرت من رحلته؟ وقد اختلف المؤرخون والباحثون في الإجابة عن هذا السؤال، ومنشأ الخلاف أن منهم من أرخ لمجرد العلم بالمذهب الأشعري في المغرب العربي، ومنهم من أرخ لاعتناق المذهب الأشعري في المغرب العربي، والناظر في التاريخ يدرك أن الأول أسبق من الثاني؛ فيمكن الجمع بين أقوال المؤرخين والباحثين من خلال تقسيم تاريخ الأشعرية في المغرب العربي إلى أربعة مراحل:

- المرحلة الأولى: مرحلة المذهب الأشعري في المغرب العربي ما قبل المهدي بن تومرت: وهي مرحلة يصح أن تسمى كذلك بمرحلة الاعتقاد الفردي: حيث امتازت هذه المرحلة بوجود جماعة من المغاربة ممن هم على علم بالمذهب الأشعري، ففي هذه المرحلة كان وجود المذهب الأشعري في المغرب العربي وجوداً محدوداً في آحاد الأفراد. ولما لمدينة القيروان من موقع جغرافي مميز، فقد مثلت جسر ثقافي يلتقي به طلبة العلم والعلماء من جميع البلدان وخاصة بلاد الأندلس؛ لذا كانت القيروان المركز الأساسي في المغرب لتقبل الأشعرية ونشرها في أنحاء المغرب كافة، حيث الأسماء التي جاءت في كتب التاريخ حاملة للمذهب الأشعري من المشرق استقرت في القيروان، فمثلت القيروان مركز انطلاقة المذهب الأشعري.

إن البحث في أول من أدخل الأشعرية إلى المغرب العربي يعد من الصعوبة بمكان؛ حيث ندرة المصادر التاريخية تصعّب على الباحث التيقن في اختيار الاسم، فقد اختلف الباحثون والمؤرخون في هذه المسألة، إلى ثلاث اتجاهات: الاتجاه الأول: ذهب إلى أن أبا ذر الهروي[17] هو أول من أدخل الأشعرية إلى المغرب، واستدلوا على ذلك بمقولات بعض

---

[3] إفريقية: اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، ينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس وهي تونس الحالية. انظر: معجم البلدان 228/1.

[4] برقه: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، تقع في الجانب الشرقي من ليبيا.انظر: معجم البلدان 388/1. البلدان لليعقوبي ١٨١

[5] بجاية: مدينة في الجزائر على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أول من اختطها الناصر بن زيري بحدود سنة (457هـ) وتسمى بالناصرية نسبة له، وبجاية مدينة تجارية وصناعية بها العديد من الصناعات اليدوية والحديثة. انظر: معجم البلدان 329/1 موسوعة المدن العربية والإسلامية ١٦٠.

[6] القيروان: مدينة في تونس بناها عقبة بن نافع، تقع في قلب الصحراء، وهي مدينة داخلية إلى الغرب من سوسة. انظر: صورة الأرض 64/1. موسوعة المدن الإسلامية والعربية ١٥٦.

[7] وهران: مدينة جزائرية متوسطة الحجم، تقع على ضفة البحر، بناها جماعة من الأندلسيين. تشتهر بصناعات الصدف، تقع على بعد حوالي ٤٠٠كم من العاصمة الجزائر. انظر: معجم البلدان 385/5. موسوعة مدن إسلامية ٥١٦.

[8] تلمسان: اسم لمدينتين متجاورتين، اختطها المرابطون في المغرب، وهي عامرة بالأسواق والجوامع، وهي قريبة من البحر المتوسط إلى أقصى الشمال الغربي، على الحدود الجزائرية. انظر: معجم البلدان 44/2. موسوعة المدن العربية والإسلامية

[9] سبته: مدينة عظيمة، سماها الرومان سيفطاس، وسماها البرتغال سوبتة، أسسها الرومان في أصح الروايات، وهي الآن تحت حكم الإسبان. انظر: وصف إفريقيا 316/1.

[10] سجلماسه: مدينة متوسطة الحجم، تقع في قلب واحة نافيلالت في المغرب. انظر: معجم البلدان 192/3. عمران سجلماسه دراسة تاريخية وأثرية 38/1.

[11] فاس: اسم لمدينتين تقع كل واحدة منهما على سطح جبل، إحداهما بنيت عام (192هـ) والأخرى بنيت عام (193هـ) في عهد إدريس بن إدريس، فأصبحت عاصمة الأدارسة، تعتبر اليوم من أكبر المدن المغربية وفيها جامعة أم القرويين التي تعد من أقدم الجامعات في العالم. انظر: تقويم البلدان 133. موسوعة ألف مدينة إسلامية 353.

[12] للاستزادة حول هذه الفرق انظر: تاريخ المغرب العربي لسعد زغلول، تاريخ المغرب الكبير لمحمد علي.

[13] الخوارج: فرقة ظهرت في أثناء معركة صفين، ورفضوا التحكيم، وكفروا من قبل حكمه، ثم تطور فكرها ببعض المبادئ من أهمها: أن مرتكب الكبيرة كافر، وأن كل من خالفهم فهو حلال الدم مستباح الأموال والأعراض، وقالوا بخلق القرآن، وأنه ليس قديما، وقد افترق الخوارج إلى فرق كثيرة. انظر: الملل والنحل 90/1.

[14] المعتزلة: فرقة كلامية، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء، مجلس الحسن البصري، لقول واصل: بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً، ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، تعتد المعتزلة بالعقل وتغلو فيه وتقدمه على النقل، ولهم أصول خمسة يدور عليها مذهبهم. انظر: الفرق بين الفرق 117.

[15] الإسماعيلية: فرقة باطنية، انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم شرائع الإسلام، تشعبت فرقها، منها العبيدية التي دخلت المغرب العربي وأسست فيه دولة تحمل لواء مذهبها سنة (296هـ) انظر: الملل والنحل 155/1.

[16] الرافضة من فرق الشيعة، ويرجع سبب تسميتهم بذلك إلى أنهم كانوا مع زيد بن علي ثم تركوه، لأنهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين رضي الله عنهما، فقال: لقد كانا وزيري جدي فلا أتبرأ منهما، فرفضوه وتفرقوا عنه. وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وهم يدعون "الإمامية" لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين 88/1، والفرق بين الفرق 21

[17] عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري الهروي، فقيه مالكي، عالم بالحديث، من الحفاظ الثقات، أصله من هراة، نزل مكة ومات بها سنة خمس وثلاثين وأربعمائة (435 هـ) انظر: شذرات الذهب 164/5.

العلماء كقول الإمام الذهبي عن أبي ذر: "أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب[18]، وبث ذلك بمكة، وحمله عنه المغاربة إلى المغرب، والأندلس، وقبل ذلك كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات" (الذهبي، 1405هـ،755/17) كما نقل ابن تيمية قول أحد علماء المالكية، أن أبا ذر الهروي" أول من حمل الكلام إلا الحرم، وأول من بثه في المغاربة" (ابن تيمية، 1411هـ، 101/2)

غير أن أبا ذر الهروي لم يثبت عنه أنه زار المغرب العربي، وإنما مقصد من قال بأنه أول من أدخل الأشعرية إلى المغرب، أي أنها دخلت عن طريق تلامذته الذين نقلوا علم الكلام إلى المغرب وبثوا العقيدة الأشعرية من خلال مؤلفاتهم ودروسهم بين أهل المغرب العربي.

وأما الاتجاه الثاني: فذهب إلى أن إبراهيم القلانسي[19] الذي عاد بعد رحلته من المشرق واستقر بإفريقية وعمل على نشر الأشعرية هناك، هو أول من أدخل الأشعرية إلى المغرب العربي (التهامي، 1426ه، 362).

وأما الاتجاه الثالث: فإنه رجح أبا بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي[20] ليكون "أول من أدخل علم الاعتقادات - أي الأشعرية-بالمغرب الأقصى" (التادلي،1404ه، 106).

وبالنظر إلى جغرافية المغرب العربي التي تميزت بمساحتها الكبيرة، فإنه يمكن الجمع بين الاتجاهات الثلاث بالقول إن بلاد المغرب الأقصى عرفت المذهب الأشعري مع أبي بكر المرادي، وأما إفريقية فقد عرفت المذهب مع إبراهيم القلانسي، وأبو عمران الفاسي[21] تلميذ أبي ذر الهروي.

- المرحلة الثانية: مرحلة التأليف والتأصيل العلمي للمذهب الأشعري: امتازت هذه المرحلة بوجود أعلام المدرسة الأشعرية الكبار، الذين لهم السبق في وضع قواعد المدرسة الأشعرية في المغرب العربي.

بدأت هذه المرحلة في لحظة رجوع بعض الأعلام المغاربة من المشرق بعد تتلمذهم وأخذهم أصول المذهب الأشعري عن أبي بكر الباقلاني؛ لذا فإن بعض الباحثين يسمي هذه المرحلة ب "الفترة الباقلانية" لمّا للباقلاني من أثر كبير على أعلام هذه المرحلة، وحين كان الباقلاني مالكياً في الفروع، فإن من قصده من الأعلام المغاربة قد أخذ عنه الفروع والأصول معاً، ثم عادوا لبث هذا العلم ووضع قواعده في المغرب العربي، كما سعى الباقلاني نفسه في نشر المذهب حيث أرسل اثنين من تلامذته للمغرب العربي وهما: الحسين بن حاتم الأذري[22]، وأبو طاهر البغدادي الناسك الواعظ (ابن عساكر، 1404هـ، 121) الذي كان عالماً متقناً لعلم الكلام حتى قيل عنه: "لو كان علم الكلام طيلساناً ما تطيلس به إلا أبو طاهر البغدادي"[23]. ولم يستأثر الباقلاني بهذا الدور في نشر الأشعرية في المغرب، بل صحبه جماعة من علماء الأشاعرة كما سيتضح. أما دور الباقلاني فكان من جهتين:

الأول: تلمذة جماعة من المغاربة على الباقلاني، فذكرت كتب التراجم جماعة من العلماء المغاربة الذين أخذوا عنه منهم:

- عبد الجليل بن أبي بكر الربعي المعروف بالصابوني (ت: 595هـ): صحب الباقلاني ثم عاد إلى المغرب وألف رسالة في الاعتقاد، ودرس بقلعة حماد[24]، ومدينة فاس (القضاعي، 1415هـ، 133/3)

- أبو طاهر محمد بن علي المعروف بابن الأنباري (ت: 448هـ): درس على الباقلاني الفقه وأصوله وعلم الكلام. ثم توجه للمغرب، ونزل القيروان (الباقلاني، 1418هـ، 35/1).

وقد تتلمذ جماعة من المغاربة على تلميذيّ الباقلاني المبعوثين إلى المغرب العربي منهم:

- موسى بن عيسى بن أبي حاج أبو عمران الفاسي: من مشاهير علماء الأشعرية؛ حيث كان له دور فعال في نشر المذهب في المغرب العربي، تلقى أصول المذهب عن القاضي الباقلاني الذي أعجب بذكائه وحفظه، فيقول أبو عمران عن نفسه: (لما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ورأيت كلامه في الأصول والفقه، والمؤتلف والمخالف، حقرت نفسي وقلت: لا أعلم من العلم شيئاً. ورجعت عنده كالمبتدئ) (اليحصبي، 1983م، 47/7) ولأبي عمران الفاسي دور كبير في نشر الأشعرية في المغرب؛ حيث راجت في عهده كتب المذهب وتناسخها الناس (الدباغ، 1388هـ، 152/3).

- أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي القيرواني[25] تلميذ الأذري ممن أخذ عنه كتاب «اللامع» في أصول الفقه (محفوظ، 1994م، 45/1)

- أبو عبد الله محمد بن عتيق بن محمد ابن أبي كدية القيرواني (ت: 512هـ): كان له معرفة بعلم الكلام والأصول على مذهب الأشعري، تتلمذ على الأذري (الذهبي، 1405هـ، 417/19) (الحنفي، 1483هـ، 217/5).

- عبد الخالق بن عبد الوارث أبو القاسم السيوري (ت: 462هـ): كان له شأن في الحفظ والقيام بمذهب مالك، وقرأ

---

[18] محمد أبو بكر بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني، من كبار علماء الكلام، ولد سنة (338هـ) سكن بغداد، انتهت إليه رئاسة المذهب، كان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب، له مصنفات عدة منها: دقائق الكلام، الملل والنحل. توفي سنة (403هـ). انظر: وفيات الأعيان 269/4. الأعلام للزركلي 176/6.

[19] أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي، كان فقيهاً عالماً بالكلام والرد على المخالفين، له مصنفات منها: الإمامة والرد على الرافضة، توفي سنة (359هـ) وقيل (361هـ). انظر: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية 165/1.

[20] أبو بكر محمد بن الحسن المرادي، ولد في القرن الخامس الهجري ونشأ في القيروان، ورحل إلى قرطبة سنة (478هـ) أخذ عن علماء الأندلس، كان فقيهاً عالماً بالفقه وإماماً في أصول الدين، له مؤلفات عدة من أشهرها كتاب "الإشارة في تدبير الإمارة" وله كذلك كتاب التجريد في علم الكلام. توفي سنة (489هـ). انظر: الصلة تاريخ أئمة الأندلس 572. الغنية في شيوخ القاضي عياض 227.

[21] أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الفاسي القيرواني، ولد سنة (368هـ) أصله من فاس، وقد استوطن القيروان، كان فقيهاً، حافظاً للقرآن، يقرأه بالقراءات السبع. توفي بالقيروان سنة (430هـ) انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 158/1.

[22] أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري، نسبة إلى أذربيجان وهو إقليم واسع، نزيل القيروان المتكلم الأشعري، تتلمذ على القاضي الباقلاني، وقدم المغرب واستوطن به إلى أن توفي سنة (423هـ) انظر: ترتيب المدارك 586/2.

[23] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. 121

[24] مدينة اختطها حماد بن بلكين في حدود سنة (370هـ)، وهي حالياً تقع شمال شرق مدينة المسيلة، وهي من مدن المغرب الأوسط. انظر: معجم البلدان 390/4 تاريخ الجزائر في العصر الوسيط 247.

[25] لم أقف على ترجمة له.

الكلام والأصول على الأزدي، وأكثر ما قرأ الكلام. ولازم مدينة القيروان، الى أن مات بها (اليحصبي، 1983م، 65/8)

أما الجانب الآخر في تأثير الباقلاني كان من ناحية مؤلفاته التي دخلت إلى المغرب العربي، كرسالة الحرة المطبوعة باسم الإنصاف، والتي كانت متداولة في المغرب، وذكرت بعض المصادر التاريخية أن أبا القاسم ابن ورد[26] الذي كان من بحور العلم في الأندلس (الذهبي، 1413ه،725/11) كان يروي كتب القاضي أبي بكر الباقلاني عن كريمة المروزية[27]. (القضاعي، 1420هـ، 24).

كما برز خلال هذه الفترة من أعلام الأشاعرة إلى جانب الباقلاني: أبو بكر بن فورك[28]، فكان لكتبه رواج في المغرب العربي، خاصة كتابه (تأويل مشكل الحديث) الذي دخل إلى المغرب عن طريق جماعة من المغاربة رحلوا للمشرق للتفقه في المذهب ثم عادوا به للمغرب (القضاعي، 1420هـ، 214) وكذلك للجويني[29] أثرٌ ودورٌ كبير في نشر المذهب الأشعري في المغرب، حيث لقيت كتبه رواج كبير في المغرب؛ فاعتنى بها المغاربة شرحاً وتدريساً، ككتاب (الإرشاد) -وهو من أكثرها تداولاً في المغرب- وكتاب (البرهان في أصول الفقه)، فشرح أبو عبدالله محمد بن مسلم الذي كان متأثرا بالجويني كتاب الإرشاد وسمى شرحه: (المهاد في شرح الإرشاد) (السبتي، 1402هـ، 88)، كما شرح الإمام المازري[30] كتاب (البرهان) وأسمى شرحه (إيضاح المحصول من برهان الأصول) (ابن فرحون، 251/2). إن مرحلة التأليف والتأصيل للمذهب الأشعري مرحلة مهمة في تاريخ العقيدة الأشعرية في المغرب؛ حيث استطاع المغاربة التوسع في هذا المذهب والسعي إلى نشره عن طريق الحلقات العلمية التي يدرس فيها كتب المذهب. ولا يخفى أثر علماء الأندلس أيضاً خلال هذه الفترة، نظراً للتقارب الجغرافي بين البلدين، وقد عرفت الأندلس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري علمين من أعلام الأشعرية كان لهما دور في التطور العقدي الأشعري، وهما: أبو الوليد الباجي[31] الذي رحل إلى المشرق والتقى بأعلام المذهب، ثم عاد إلى الأندلس وتصدى لمجادلة ابن حزم[32]، وأبي بكر بن العربي[33] الذي تلقى أصول علم الكلام على أبي حامد الغزالي، ثم عاد إلى الأندلس جالباً معه أمهات كتب الأشاعرة. إضافة لإقامته حلقات علمية لتدريس المذهب الأشعري.

ونظراً لقيام دولة المرابطين[34] خلال القرن الخامس الهجري والتي طال حكمها حتى بلاد المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، فإن علم المغاربة بالمذهب الأشعري ظل محدوداً لمحاربة المرابطين لعلم الكلام، حيث صرحوا "بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام. وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلاف في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بُغْض علم الكلام وأهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه (المراكشي، 1426ه،131) وذلك بعكس إفريقية التي كانت خارج حكم المرابطين، مما كان انتشار الأشعرية والتأثر بها أكثر.

- المرحلة الثالثة: مرحلة الترسيم والترسيخ للمذهب الأشعري: وهي مرحلة تبدأ برجوع المهدي بن تومرت من رحلته للمشرق؛ إذ في القرن السادس الهجري عاد ابن تومرت الذي لقب بالمهدي للمغرب، وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد والذب عنها بالحجج العقلية وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث، فحمل أهل المغرب على القول بالتأويل، وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الأشاعرة، وأعلن بإمامته، ومهديته، ووجوب تقليده، واتباعه. (ابن خلدون، 1401هـ، 302/6) (المراكشي، 1426هـ، 139).

- المرحلة الرابعة: مرحلة الانتشار: وهي مرحلة تبدأ بعد وفاة ابن تومرت وتسلم عبد المؤمن بن علي[35] زمام الأمور في الدولة سنة [524 هـ] والحديث عن هذه المرحلة يستوجب أولاً الحديث عن المذهب الأشعري في عهد ابن تومرت.

المبحث الثالث: الأشعرية في المغرب العربي في عهد ابن تومرت:

حين كان هذا المبحث يعنى ببيان دور ابن تومرت في نشر الأشعرية في المغرب كان من الأهمية بمكان التعريف بابن

---

[26] أحمد بن محمد بن عمر، أبو القاسم التميمي، المعروف بابن ورد، ولد سنة (465هـ) كان أبوه من أهل القيروان ورد المرية فأوطنها إلى أن مات بها ونشأ ابنه هذا فكان عالمها المنظور إليه وحبرها المجمع عليه، اشتهر بدقة النظر ولطف الاستنباط. ألف في شرح البخاري كتابًا كبيرًا ظهر علمه فيه، توفي سنة (540هـ) انظر: ابن الأبار محمد بن عبد الله، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي. 23. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس 167.

[27] كريمة المروزية هي: كريمة أم الكرام بنت أحمد بن محمد المروزية، الشيخة، العالمة، المسندة، وكانت ذات ضبط وفهم ونباهة، روت صحيح البخاري مرات كثيرة، قيل إنها بلغت المائة، توفيت سنة (463هـ). انظر: سير أعلام النبلاء 233/18. ابن ماكولا علي بن هبة الله، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحقيق: نايف العباس. 171/7.

[28] محمد بن الحسن أبي بكر بن فورك، المتكلم الأصولي، من فقهاء الشافعية، قال عنه الذهبي: الإمام العلامة الصالح، شيخ المتكلمين، حدث عنه أبو بكر البيهقي، وصنف التصانيف الكثيرة كان أشعرياً، رأساً في فن الكلام، بلغت تصانيفه في أصول الدين، وأصول الفقه، ومعاني القرآن، قريباً من المئة، توفي سنة (406هـ) انظر: سير أعلام النبلاء 215/17.

[29] عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، أبو المعالي، من أصحاب الشافعي، ولد في جوين من نواحي نيسابور سنة (419هـ) ورحل إلى بغداد، ثم مكة، فأقام فيها أربع سنين، ثم رحل إلى المدينة فأفتى ودرس. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية، له مصنفات عدة، منها: غياث الأمم والعقيدة النظامية. توفي سنة (478هـ). انظر: طبقات الشافعية 165/5.

[30] أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري، إمام أهل إفريقية، كان إلى جانب تضلعه في الفقه والأصول والحديث عالماً بالطب، له مصنفات عدة، منها: المعلم بفوائد مسلم، وكتاب شرح البرهان للجويني. توفي سنة (536هـ). انظر: الديباج المذهب 250/2.

[31] القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف التميمي، ولد سنة (403هـ) من فقهاء المالكية أصله من مدينة بطليوس، انتقل جده إلى مدينة باجة البلدة التي بقرب أشبيلية، فنسب إليها، سمع بالأندلس ثم ارتحل إلى الشرق سنة ست وعشرين، فأقام بالحجاز مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام، ثم ارتحل إلى العراق فأقام بها ثلاث سنوات يدرس الفقه، له مؤلفات كثيرة، منها: الاستيفاء في شرح الموطأ، والمنتقى شرح الموطأ، توفي سنة (474هـ) انظر: شجرة النور الزكية 178/1.

[32] علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد الأندلسي الظاهري، ولد سنة (384هـ) كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، متفنناً في علوم جمة عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله من الوزارة وتدبير الممالك، وكان أديباً، طبيباً له بالطب رسائل، له مصنفات عدة، منها: الفصل في الملل والنحل، المحلى. توفي سنة (457هـ) انظر: جذوة المقتبس 308.

[33] محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، ولد سنة (468هـ) رحل مع أبيه إلى المشرق لطلب العلم، كان متبحراً في العلم ثاقب الذهن، متقدماً في المعارف متكلماً في أنواعها، ولي قضاء أشبيلية فكان ذا شدة وسطوة، له مصنفات عدة، منها: أحكام القرآن، القواصم والعواصم. توفي سنة (543هـ) انظر: الديباج المذهب 252/2.

[34] دولة ظهرت في المغرب العربي خلال القرن الخامس والسادس الهجري، وقد كانت في بدايتها حركة إصلاحية دعوية قام بها عبد الله بن ياسين، المؤسس الأول للدولة. استمرت دولة المرابطين من سنة (440هـ -541هـ) انظر: البيان المغرب 7/4.

[35] أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، اختلف في سنة والدته فقيل (500هـ) وقيل: (490هـ) استوثق له أمر إدارة الدولة بعد ابن تومرت، وامتد ملكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثير من بلاد الأندلس، وتسمى أمير المؤمنين، يعد المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين. توفي سنة (558هـ) انظر: وفيات الأعيان 237/3.

تومرت. وهو: محمد بن عبد اللّه بن تومرت، المتسمى بالمهدي. ولد بسوس سنة [485هـ] ورحل إلى المشرق سنة [501هـ] في طلب العلم، فتنقل بين عواصمه الثلاث: بغداد، ومكة، والقاهرة. (المراكشي، 1420هـ، 136) (الزركشي، 1966م، 4) وأقام بالمشرق ما لا يقل عن عشر سنوات، وأفاد من هذه الرحلة علماً غزيراً لا سيما في العلوم العقلية واللسانية (ابن خلكان، 1994م، 46/5) (ابن الأثير، 570/10)؛ إذ امتاز ابن تومرت بالذكاء والهمة العالية (ابن علام، 1968م،46)، فتلقى ابن تومرت العلم على يد عدد من علماء المشرق وأخذ عنهم الفقه والأصول، والجدل، وتأثر بمذهبهم في السياسية الشرعية (النجار، 1403هـ، 72) ثم عاد إلى المغرب في رحلة استغرقت أربع سنوات، شرع فيها ببث العلم الذي أخذه عن مشايخه؛ فالتزم ابن تومرت في طريق عودته إلى المغرب ببث العلم بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ابن خلكان، 1994م، 46/5).

إن الدور الذي قام به ابن تومرت في نشر الأشعرية في المغرب العربي ظهر في أمرين اثنين:

الأول: استخدام السلطة السياسية في نشر المذهب بين العامة.

الثاني: التأصيل العلمي للمذهب.

إن مشروع ابن تومرت اقتضى القضاء على كل ما كان له علاقة بدولة المرابطين في جوانب السياسة والفكر، فبدأ ابن تومرت في دعوته متدرجاً؛ إذ تبنى مشروع إصلاحي قائم على محاربة المنكرات بين الأفراد وأمراء الدولة من المرابطين، فبدأ في طريق عودته إلى المغرب، يصطدم بالعامة وأولي الأمر، فكان كلما رأى منكراً تقدم بتغييره، فيريق الخمور ويكسر آلات اللهو والطرب ويغلظ على أهل المجون، وتروي المصادر التاريخية تعرض ابن تومرت للمحن والمواقف الصعبة جراء جرأته في إنكار المنكر، فذاع صيته واشتهر فعله بين الناس، وفي عام [514هـ] التحق ابن تومرت بالسوس[36] حيث تقطن قبيلته، فالتف حوله جماعة، وواصل الجهر بحركته الإصلاحية، وفي أثناء اجتماعه مع قومه كان ابن تومرت يكثر من الحديث عن المهدي وعصمته وما يتصل به "فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته، ادعى ذلك لنفسه، وقال: أنا محمد بن عبد الله ... ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وصرح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم. وروى في ذلك أحاديث كثيرة، حتى استقر عندهم أنه المهدي، وبسط يده فبايعوه على ذلك، وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله (المراكشي، 1420هـ، 141) فتلقب ابن تومرت بلقب بالمهدي، وقد اتبع ابن تومرت ادعاءه المهدية بمؤلف كتبه بلسان قومه يحتوي على ما يجب أن يعتقده من الأحكام العملية والعلمية، وألزمهم بقراءة حزب واحد منه في كل يوم إثر صلاة الصبح، بعد حزب القران. وهو سفر مجلد يحتوي على معرفة الله تعالى والعلم بحقيقة القضاء والقدر والإيمان والإسلام والصفات، وما يجب لله تعالى وما يستحيل ويجوز عليه والإيمان بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وملائكته الكرام، كما تضمن هذا السفر الإشارة إلا أنه المهدي المنتظر، وأنه الإمام وأشار إلى وجوب طاعة الإمام وعصمته، وضم كذلك أحكاماً مفادها أن الهجرة إليه واجبة، لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال، وأن من سمع بأمره وجبت الهجرة عليه، ولا عذر له بوجه من الوجوه، ويكفر من لم يصله ومن لم يطعه (المراكشي، 1426ه، 81) ولم يقف دور ابن تومرت عند حد التأليف، بل قام بنفسه بتدريس وشرح ما كتبه من مؤلفات؛ حيث بنى رابطة للعبادة فاجتمع إليه الطلبة والقبائل ليعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري (ابن خلدون، 1401هـ، 303/6)

ولم يكن ابن تومرت يتبنى كافة آراء الأشعرية، بل مذهبه عبارة عن مزيج بين آراء الأشاعرة والمعتزلة والشيعة، فكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها، وفي مسائل قليلة غيرها (المراكشي، 1426هـ،141).

المبحث الرابع: مذهب ابن تومرت:

إن الناظر إلى سيرة ابن تومرت منذ عودته إلى المغرب العربي وحتى إعلانه لدولة الموحدين[37] يتبين له أن العقيدة التي وضعها ابن تومرت تمثلت في عدة أمور:

أ-الدعوة إلى الرجوع مباشرة إلى الكتاب والسنة.

إن من الواجب في الحديث عن الأحداث التاريخية النظر إليها من جميع الأطراف، فلا يتم اجتزاء الحدث عن سياقه، فدعوة ابن تومرت إلى الرجوع المباشر إلى الكتاب والسنة ينظر إليها في ظل الحال العلمية في عهد المرابطين؛ حيث كانت الدراسات المفضلة في عهد المرابطين هي علم الفروع "ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من عَلِم عِلْم الفروع، أعني: فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب، وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها. وكثر ذلك حتى نُسي النظر في كتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء (المراكشي، 1426هـ، 131) فعارض ابن تومرت مذهب المرابطين، فكان يأخذ في تفسير الشريعة بالمذهب الظاهري، ويقول بوجوب الاعتماد في استقاء الأحكام على القرآن والسنة دون غيرهما. ودعوة ابن تومرت للمذهب الظاهري لم تكن دعوة صريحة منفردة، بل دعا إليها ضمن مشروعه الفكري، فلم يفرض ابن تومرت الأخذ بالمذهب

[36] كورة بالمغرب مدينتها طنجة، وهناك أيضًا السوس الأقصى، ومدينته طَرْقَلة. وقيل: السوس: بلدة بالمغرب، كانت الروم تسميها "قَمُونية" معجم البلدان 281/3.

[37] قامت دولة الموحدين في القرن السادس الهجري، بعد سقوط دولة المرابطين، وكان المؤسس لها هو محمد بن تومرت، وأول حكامها هو عبد المؤمن بن علي الذي أقام دولة قوية في بلاد المغرب العربي والأندلس؛ لذا يعد المؤسس الحقيقي للدولة، قامت دولة الموحدين من سنة (515هـ) واستمرت حتى سنة (674هـ). انظر: دولة الإسلام في الأندلس 3/4.

الظاهري كفرضه بقية آرائه العقدية والسياسية، وأما الدعوة الصريحة إلى المذهب الظاهري، وإجبار المغاربة عليه، والعداء الصريح للمالكية فلم يظهر إلا بعد ابن تومرت بحوالي سنتين، واشتدت محاربة المذهب المالكي في عهد ثالث الخلفاء الموحدين أبي يوسف يعقوب الموحدي[38]، فيصف صاحب كتاب المعجب الشاهد على عصر الدولة الموحدية أيام الخليفة الثالث بقوله: (ففي أيامه انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدوَّنة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار. وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه، وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة. وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: الصحيحين، والترمذي، والموطأ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن البزار، ومسند ابن شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي... وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث. وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا) (المراكشي، 1426هـ، 202)

وقد صرح عدد من العلماء بظاهرية ابن تومرت كقول صاحب الاعتصام: (وكان من رأيه -أي ابن تومرت- ترك الرأي واتباع مذاهب الظاهرية) (الشاطبي، 1434هـ،2/296) وجاء في كتاب بيوتات فاس قول مؤلفه: (إن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم، تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية، والعمل على محض الظاهرية) (مجهول، 1072م، 19).

ب- الأخذ بنظرية الشيعة في عصمة الإمام وفي تسمية الخليفة بالإمام.

ففرض ابن تومرت على أتباعه وجوب الاعتقاد في الإمام المعصوم، ووافق الشيعة في القول بأن الإمامة ليست قضية مصلحية، تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن من أركان الدين، لا يجوز للرسول إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله[39]. وأصلّ ابن تومرت لنظريته في الإمامة بكتابة مؤلف فيها، كما اهتم ابن تومرت بشأن الإمامة وأسهب في الحديث عنها في كتابه الموسوم ب "أعز ما يطلب" حتى أعتبر الفصل الخاص بالإمامة لب الكتاب، ولب مذهبه الديني ودعوته السياسية (عنان، 1417هـ، 3/206) ولعل معتقد ابن تومرت في الإمامة والعصمة جعل بعض المؤرخين ينسبه إلى التشيع، وعند التحقيق فإن أخص عقائد الشيعة هي ما يتعلق بموقفهم من الصحابة -رضي الله عنهم- بالإضافة إلى عقيدتهم في الإمامة، وابن تومرت في موقفه من الصحابة متبعٌ لمنهج أهل السنة والجماعة، لذا فإن ابن تيمية -رحمه الله- قال عنه: (لم يكن رافضياً) (ابن تيمية، 1406هـ، 8/259). والناظر إلى سيرة ابن تومرت يدرك أن ادعاءه للإمامة والمهدية كان من قبيل المصلحة السياسية.

ج- الأخذ بنظرية المعتزلة في بعض المسائل العقدية.

إن السؤال حول عقيدة ابن تومرت وحقيقة تأثره بالمعتزلة في بعض الآراء العقدية، يعد من أكثر المسائل اختلافاً بين الباحثين؛ إذ كان الخلاف حول ثلاثة مسائل عقدية وهل ابن تومرت وافق فيها المعتزلة أم لا وهي:

- الأسماء والصفات: فافترق الباحثون في عقيدة ابن تومرت في الأسماء والصفات إلى ثلاث فرق:

1- فرقة قائلة بموافقته المعتزلة في الأسماء والصفات: وقد سلكت هذه الفرقة مسلكين لإثبات رأيها:

أ-المسلك الأول: تصريح بعض العلماء في موافقة ابن تومرت للمعتزلة، كقول ابن تيمية -رحمه الله- (لمّا كان أبو عبد الله محمد بن التومرت على مذهب المعتزلة في نفي الصفات لقب أصحابه بالموحدين) (ابن تيمية، 1433هـ، 201) كما صرح ابن تيمية في موضع آخر بأن ابن تومرت كان "مذهبه في الصفات مذهب الفلاسفة... بل كان فيه نوع من رأي الجهمية"[40] (ابن تيمية، 1408هـ، 3/501).

ب- المسلك الثاني: أقوال ابن تومرت في بعض كتبه ورسائله: حيث جاء في بعض رسائله ما يثبت موافقته للمعتزلة في نفي الصفات، فعرف ابن تومرت التوحيد بصورة مجمله بقوله أنه: "إثبات الواحد، ونفي ما سواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت (ابن تومرت، 2007م، 267) ثم بسط تصوره للتوحيد في موضع آخر فقال: (لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات وشهدت عليه المخلوقات بأنه جل وعلا وجب له الوجود على الإطلاق من غير تقييد، ولا تخصيص بزمان، ولا مكان، ولا جهة، ولاحد ولاجنس، ولا صورة، ولا شكل، ولا مقدار، ولا هيئة، ولا حال، أول لا يتقيد بالقبلية، آخر لا يتقيد بالبعدية) (ابن تومرت، 2007م، 225) وكلام ابن تومرت هنا بتفسيره للتوحيد يوافق كلام المعتزلة وإجماعهم على معنى التوحيد

[38] يوسف بن عبد المؤمن بن علي أبو يعقوب، ولد سنة (533هـ) بويع له في سنة (595هـ) بعد وفاة أبيه، كان عارفا باللغة والأخبار والفقه، متفننا، عالي الهمة، سخيا، جوادا، نظر في الطب والفلسفة، وجمع كتب الفلاسفة. توفي سنة (580هـ) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب 237، سير أعلام النبلاء 98/21.

[39] انظر: الملل والنحل للشهرستاني 117/1. محمد ابن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق: عمار الطالبي. 229. سمي الكتاب بهذا الاسم نسبة لما بدأه ابن تومرت به حيث جاءت أول جملة في الكتاب "أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما يعمل...).

[40] الجهمية هم: أصحاب جهم بن صفوان تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة (124هـ) على الزندقة والإلحاد، وهو أول من ابتدع القول بخلق القرآن وتعطيل الله عن صفاته، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء. منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي تشبيها، ففي كونه حيا عالما، وأثبت كونه: قادرا فاعلا خالقا؛ لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق. انظر: الفرق بين الفرق 199.

الذي نقله صاحب مقالات الإسلاميين بقوله: (أجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض[41] ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق...) (الأشعري، 1426هـ،130/1).

2- الفرقة الثانية: قالت بانتساب ابن تومرت لمذهب ابن حزم في العقيدة خاصة ما يتعلق بقوله في الأسماء والصفات؛ حيث يقول ابن حزم في معرض رده على مثبتي الصفات (إنما أنكرنا قول من قال إن أسماء الله تعالى مشتقة من صفات ذاته فأطلق لذلك على العلم والقدرة والقوة والكلام أنها صفات وعلى من أطلق إرادة وسمعا وبصرا وحياة وأطلق أنها صفات فهذا الذي أنكرناه غاية الإنكار) (ابن حزم، 377/1) . يوافق ابن تومرت ابن حزم حين قال: (أسماء الباري سبحانه موقوفة على إذنه، لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو على لسان نبيه، لا يجوز القياس والاشتقاق والاصطلاح في أسمائه) (ابن تومرت، 2007م، 221).

3- الفرقة الثالثة: تقول بانتساب ابن تومرت لمذهب أبي المعالي الجويني في معظم آرائه العقدية وليست في الصفات فقط، وقد سلكت هذه الفرقة مسلكين لإثبات رأيها:

أ- المسلك الأول: كلام ابن تيمية حيث أثبت متابعة ابن تومرت للجويني فقال: (كان المغاربة الذين اتبعوا ابن التومرت المتبع لأبي المعالي أمثل وأقرب) (ابن تيمية ، 1408هـ،622/6) ويرى أصحاب هذا المسلك بأن متابعة ابن تومرت لأبي المعالي كانت بدأً من التسمية التي أطلقها على أتباعه وانتهاء بآرائه العقدية، حيث أكد ابن تيمية أن تسمية ابن تومرت أتباعه بالموحدين هي تسميه قد استلهمها من الجويني. فقال: (فإن قيل أوضحوا معنى التوحيد قيل مراد المتكلمين من إطلاق هذه اللفظة اعتقاد الوحدانية والحكم بذلك، وأبو المعالي كثيرًا ما يقول قال الموحدون ويعني بهم هؤلاء وسلك سبيله ابن التومرت في لفظ الموحدين) (ابن تيمية، 1408ه،402/1)

ب- المسلك الثاني: أقوال ابن تومرت في كتبه وبعض رسائله، حيث قال فيها ما يثبت انتسابه لآراء أبي المعالي. فرأت هذه الفرقة أن ابن تومرت حين قسم الصفات إلى صفات عقلية وخبرية، ثم هو قد قسم الصفات العقلية إلى ثبوتية وسلبية، والثبوتية تنقسم عنده إلى نفسية ومعنوية، وبناء على هذا التقسيم أثبت وجود الله تعالى وهو يتضمن الصفة النفسية التي هي صفة الوجود الدالة على الذات دون معنى زائد عليها فقال: (فإذا علم نفي التشبيه بين الخالق والمخلوق، علم وجود الخالق سبحانه على الإطلاق، إذ كل من وجبت له البداية والنهاية والتحديد والتخصيص، وجب له التحيز والتغير والجواز والاختصاص) (ابن تومرت، 2007م،216). هو عين قول الجويني حين قال: (صانع العالم أزلي الوجود قديم الذات، لا مفتتح لوجوده، ولا مبتدأ لثبوته) (الجويني، 1407هـ، 93) كما ذهبوا إلى أن ابن تومرت تبع الجويني في تفويض الصفات الخبرية مع الجزم بنفي ظاهرها. فقال ابن تومرت في أحد رسائله: (للعقول حد تقف عنده لا تتعداه، وهو العجز عن التكييف، ليس وراءه مجال وملتمس إلا التجسيم والتعطيل) ثم جنح إلى مذهب التفويض فقال: (وما ورد من المتشابهات التي توهم التشبيه والتكييف كآية الاستواء وحديث النزول وغير ذلك من المتشابهات في الشرع، فيجب الإيمان بها كما جاءت مع نفي التشبيه والتكييف، لا يتبع المتشابه في الشرع إلا من في قلبه زيغ) (ابن تومرت، 2007م، 217).

والناظر في هذه الأقوال، المتأمل لكلام ابن تومرت في كتبه ورسائله يتضح له الآتي:

1- أن اختلاف العلماء والباحثين في حقيقة مذهب ابن تومرت إنما يعزى لتناقض ابن تومرت واضطراب منهجه، فيثبت ابن تومرت الصفات في موضع ثم يأتي بما يناقض قوله في موضع آخر فيقول بما يوهم النفي. ومعلومٌ أن التناقض صفة لازمة لكل من خرج عن منهاج السنة واتبع العقل.

2- أن النتيجة التي تصل إليها الأقوال السابقة مجتمعة هي: تأثر ابن تومرت بالمعتزلة في الجملة، حيث من المعلوم أن ابن حزم والجويني قد تأثرا بالمعتزلة في بعض أقوالهم. قال ابن تيمية -رحمه الله- (وأما الجويني ومن سلك طريقه فقد مال إلى مذهب المعتزلة؛ فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم[42]، قليل المعرفة بالآثار، فأثر فيه مجموع الأمرين) (ابن تيمية، 1425هـ، 52/6).

3- إن منهج ابن تومرت في الأسماء والصفات منهج مضطرب كما هو منهجه في سائر أقواله، وحقيقة مذهبه إنما هو جمع بين المعتزلة والأشاعرة، ومن جزم بانتسابه لمذهب بعينه، فإنما كان خطأه من جهة عدم النظر في مجموع آثار ابن تومرت، إذ ذهب إلى إثبات الأسماء على طريقة ابن حزم في عدم الاشتقاق، وأما الصفات فالمطلع على كتابه المسمى بالمرشدة، وهو أول مؤلفاته، يلحظ أنه لم يذكر فيه سوى الصفات السلبية مما جعل ابن تيمية يؤكد على اتباع ابن تومرت للمعتزلة، غير أن ابن تومرت يعود في بعض رسائله ليذكر صفات المعاني والصفات الخبرية وينتهي إلى القول بتفويضها مع نفي ظاهرها. فقد جمع بين النفي والقول بالتفويض مع نفي الظاهر. ولم يغب عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا التناقض فبينه ورد عليه (ابن تيمية، 1411هـ، 440/3). والثابت أن ابن تومرت لم ينتهج منهج أهل السنة والجماعة في الصفات؛ حيث

[41] الجوهر: هو ما كان قائما بنفسه غير مفتقر في وجوده إلى غيره. والعرض: مفتقر في وجوده إلى غيره لا قوام له بنفسه، وهو ما يعرض ويزول. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح 6/5.

[42] عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي، ولد سنة (247هـ) من كبار رجال المعتزلة له طائفة تنتسب إليه تسمى بالبهشمية، ويعتبر القاضي عبد الجبار من تلاميذه ورجال مدرسته. توفي سنة (321هـ) انظر: وفيات الأعيان 183/3.

اتهم من يثبتها بالتجسيم، فحين كانت العقيدة السائدة في المغرب العربي في أيام المرابطين هي عقيدة إثبات الصفات وتنزيه الله عن مشابهة خلقه، اتخذ ابن تومرت من هذا حجة له في الخروج عليهم ونبزهم بالمجسمين الكفرة، كما كان يكثر من نبزه وتشنيعه للمرابطين ومن تبعهم من الفقهاء والعامة في كتبه ورسائله.

وقد انتهج ابن تومرت منهجاً مؤصلاً في محاربته للمرابطين؛ إذ لم يكتف بالتلفظ بكفرهم والدعوة لقتالهم، بل أخذ في تنزيل أحاديث أشراط الساعة على المرابطين، ففي إحدى رسائله جمع علامات من سماهم "المبطلين من الملثمين[43] والمجسمين" من الأحاديث النبوية فأوصلها إلى عشرين صفة، فقال أنهم: الحفاة العراة، العالة رعاة الشاه والإبل، الجاهلون بأمر الله تعالى، وأنهم يأتون في آخر الزمان، يتطاولون في البنيان، ويلدون مع الإماء، وأنهم صم عن الحق، وبكم عن الحق لا يقولون به، وهم مضيعون للأمانة ، وفي أيديهم سياط كأذناب البقر، وأنهم يعذبون الناس، ويضربونهم، وأنهم يغدون في سخط ويروحون في لعنة، أما نساؤهم فلهن رؤوس كأسنمة البخت، وهنّ كاسيات عاريات، مائلات عن الحق، ومميلات لغيرهن (ابن تومرت، 2007م،242) ثم رتب على هذا وجوب قتالهم، وفي المقابل حمل ابن تومرت أحاديث الطائفة المنصورة على جماعته، فبوب بعض الأحاديث بما يؤكد انطباقها عليهم فقال: "باب في أن الطائفة التي تقاتل على الحق في آخر الزمان بالمغرب (ابن تومرت، 2007م، 252).

- ومن المسائل التي نسب فيها ابن تومرت إلى مذهب المعتزلة: قوله في حكم صاحب الكبيرة.

إذ كان الباحثون فيها على قولين:

أ-القول الأول: انتسابه إلى مذهب المعتزلة الذي يقضي بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين. (النجار، 1403هـ، 260)

ب- القول الثاني: انتسابه إلى مذهب الأشاعرة الذي يقضي بأن صاحب الكبيرة فاسق (عيسى، 18)

والمتأمل في عبارة ابن تومرت الدالة على مذهبه حين قال: (فكل من أصر على المعصية فهو فاسق) (ابن تومرت، 2007م،177) يدرك خطأ القول الأول الذي ينسب كلام ابن تومرت إلى المعتزلة؛ فليس الحكم بالفسق حكماً بأنه في منزلة بين المنزلتين، فمحصل القولين مختلف.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ثالث المسائل المختلف فيها، هل كان ابن تومرت معتقداً بها على رأي المعتزلة أم لا؟ مذهبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن الأدلة من القرآن والسنة النبوية الصحيحة قد تضافرت بالأمر بهذه الشعيرة التي تميزت بها الأمة الإسلامية "وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة" (النووي، 1414هـ، 22/2) فاتفقت جل الفرق على القول بوجوب تغيير المنكر إلا أنها اختلفت فيما بينها في الطريقة التي يتم بها تغيير المنكر، فبينما أقر أهل السنة والجماعة التدرج في التغيير متبعين في ذلك نصوص الكتاب والسنة، غلت الخوارج في تطبيق هذه الشعيرة حتى أوجبوا الخروج تغييراً للمنكر ولو لأدنى سبب، وعلى الرغم من مخالفة المعتزلة للخوارج في التطبيق ؛إذ المعتزلة تقول بالتدرج في تطبيق هذه الشعيرة، إلا أنهم اتفقوا معهم في إباحة قتل المخالفين لهم، والخروج على الإمام الجائر، فاتفق "جميع المعتزلة، وجميع الخوارج، إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، إذا لم يمكن دفع المنكر إلا بذلك (ابن حزم، 102/3). والناظر في سيرة ابن تومرت يدرك أن مشروعه الفكري والسياسي قام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ أولى ابن تومرت هذه الشعيرة أهمية كبيرة، فاحتلت المركز الأول في مشروعه، وأهم مرتكزات هذه الشعيرة عند ابن تومرت ما يلي:

- يرى ابن تومرت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عيني، وهو ما يتضح من قوله: "إن الفساد يجب دفعه على الكافة" (ابن تومرت، 2007م، 238). وهو في هذا موافق لابن حزم القائل بأن "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على كل أحد" (ابن حزم، 1437هـ،46/1).

- ويرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الفور (ابن تومرت، 2007م، 228) وهو في ذلك موافق لإجماع علماء المسلمين.

- ويرى بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقدم على النفس والمال، فلو علم بهلاك النفس والمال جراء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فهو على الرغم من ذلك واجب. فأقر بأن "مراعاة القيام بأمر الله أولى من مراعاة إراقة الدماء، وذهاب النفوس والأموال (ابن تومرت، 2007م، 238) وهو في ذلك موافق لرأي الخوارج.

- كما يرى أن القعود عن مقاومة المنكر هو في درجة القيام بالمنكر نفسه والإعانة عليه فيقول: "إن من ترك دفع الفساد كمن أعان بنفسه وماله (ابن تومرت، 2007م،238)

- وذهب إلى وجوب مقاومة السلطان الجائر، وعده ضرباً من الجهاد في سبيل الله. فيقول في مخاطبة قومه حاثاً لهم على جهاد المرابطين الذين هم في حكم ابن تومرت من الكفار المجسمين "جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله حق جهاده، فجهاد الكفرة الملثمين قد تعين على كل من يؤمن بالله واليوم

[43] اتخذ رجال المرابطين من اللثام علامة لهم، فيه عرفوا، وقد اختلف المؤرخون في سبب لباسهم هذا على أقوال عدة، ذكر بعضها أبو عبيد البكري، في معجمه " المسالك والممالك".

الآخر، لا عذر لأحد في تركه، ولا حجة له عند الله (ابن تومرت، 2007م، 260).

وبناء على ما سبق فإن مذهب ابن تومرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أقرب إلى مذهب الخوارج، فكان فيه نوع من رأي الخوارج الذين يرون السيف، ويكفرون بالذنب (ابن تيمية، 1425هـ، 501/3)

أ- القول بمعتقد الأشاعرة في بعض المسائل العقدية:

اتفق الباحثون وعلماء التاريخ على تأثر ابن تومرت بالأشاعرة في بعض مقالاتهم العقدية، كما اتفقوا على دراسته على يد علماء الأشاعرة في المشرق، ويظهر تأثر ابن تومرت بالأشاعرة فيما يلي:

1- تفسيره للعدل الإلهي: إذ يرى ابن تومرت أن "الباري لا تتصف أفعاله بالجور والظلم، وإنما يتصف بذلك من حُجرت عليه الأمور، وحددت له الحدود، فمن تعداها سمي جائراً وظالماً، والباري سبحانه لا حاكم فوقه، ولا آمر ولا ناهي غيره" (ابن تومرت، 2007م، 159) وبناء عليه فإنه سبحانه "لو أدخل عبيده كلهم الجنة لكان ذلك منه فضلاً، ولو أدخلهم كلهم النار لكان ذلك منه عدلاً (ابن تومرت، 2007م، 160) وهو عين قول الأشعري: (فلما لم يكن الباري مملكاً ولا تحت آمر، لم يقبح منه شيء) (الأشعري، 1955م، 117) وقوله: (ولا يقبح منه أن يعذب المؤمنين ويدخل الكافرين الجنان) (الأشعري، 1955م، 117)

2- التحسين والتقبيح: صرح ابن تومرت في رد قول المعتزلة في هذه المسألة حيث قال في معرض رده على المعتزلة: (فإن قلتم بالعقل فالعقل لا يوجب شيئاً) وقال: (وذهبوا -أي المعتزلة- إلى أن العقل يقبح ويحسن، وهذه الشبهة التي ألقوها عسيرة المخرج، صعبة المسلك) (ابن تومرت، 2007م،207).

3- رؤية الله تعالى: ذهب ابن تومرت إلى أن الله تعالى "يرى من غير تشبيه ولا تكييف، لا تدركه الأبصار، بمعنى النهاية والإحاطة والاتصال والانفصال، لاستحالة اتصافه بحدود المحدثات" (ابن تومرت، 2007م، 221). وهو ما ذهبت إليه الأشاعرة من جواز رؤية الله تعالى لا في جهة (الرازي، 189) (الغزالي، 1430هـ، 274)

4- تفسير الكسب: من مقالات الأشاعرة التي انفردوا بها عن سائر الفرق هو قولهم بأن أفعال العباد مخلوقة لله وهي كسب للعباد، فقالوا: إن قدرة العبد لا تأثير لها في فعله ولا في صفة من صفاته، فالله أجرى العادة بخلق مقدور العباد مقارناً لقدرتهم، فيكون الفعل مخلوقاً ومفعولاً لله، وكسباً للعبد. ولم أقف على قول صريح لابن تومرت فيما يتعلق بالكسب سوى قوله في معرض نفيه قياس الخالق على المخلوق "لأن ذا يفعل، وذا لا يفعل" وهذا صريح في نفي الفعل عن المخلوق، إضافة إلى أن شارح كتاب ابن تومرت المسمى (أعز ما يطلب) نسب إليه القول بالكسب حيث قال في شرح قول ابن تومرت: (انحصر الفرع في فعل وترك) قال: (الفعل معلوم وهو الإتيان به على وجه الكسب، لا على جهة الاختراع) وقال الشارح: (قال المعصوم رضي الله عنه مسفراً عن حقيقة الكسب: فأما معنى الكسب فهو أن الله تعالى خلق للعبد حركات كثيرة، وخلق مع أحدها الاختيار فذلك الاختيار هو الذي يسمى كسباً) (النجار، 1403هـ، 271).

5- الاستطاعة والتكليف بما لا يطاق: من المسائل العقدية التي وقع فيها الافتراق، وهي من المسائل المتعلقة بأفعال العباد، فذهبت المعتزلة ومن وافقهم من طوائف الشيعة بأن الله تعالى مكن العبد من الاستطاعة، وهذه الاستطاعة قبل الفعل. قال القاضي عبد الجبار[44]: (إذا أعطى الله جل وعز القدرة والاستطاعة للعبد فقد مكنه بها من الأفعال أجمع، ويصح منه أن يفعل بها من الخير والطاعة، كما يمكنه أن يفعل بها الشر والمعصية، لذلك قلنا: إنها متقدمة على الفعل ليصح من القاعد أن يقدر على القيام) (الهمذاني، 358) وبناء عليه ذهب المعتزلة ومن وافقهم بمنع التكليف بما لا يطاق بناءً على أصلهم في مسألة التحسين والتقبيح، وخالفهم الأشاعرة بأن قالوا: إن الاستطاعة مع الفعل، ولا يجوز أن تتقدم عليه ولا تتأخر، وبناء عليه قالوا بالكسب وأجازوا التكليف بما لا يطاق عقلا وإن لم يقع شرعا (الرازي، 1407هـ، 269/9) أما جمهور الماتريدية[45] فقد توسطوا في المسألة فقالوا بأن الاستطاعة تقع على نوعين:

أ-سلامة الأسباب والآلات. وهي تتقدم الفعل.

ب- الاستطاعة التي يتهيأ بها الفعل. وتكون مع الفعل (الماتريدي، 2006م،188).

وقد وافق الماتريدية المعتزلة في عدم جواز التكليف بما لا يطاق (الماتريدي، 2006م، 193) والناظر لكلام ابن تومرت في رسائله يجده يقارب قول الماتريدية؛ حيث أثبت للعبد الاستطاعة وجعلها من مظاهر الكمال، ونفى عنه الاضطرار والجبرية فقال: (كمال المحدث بالعلم والاستطاعة، ونقصه بالجهل والاضطرار) (ابن تومرت، 2007م، 195) وفي شرحه للاستطاعة قسمها إلى قسمين: قسم راجع إلى ذات الانسان كالجوارح، والقوة والعلم، وقسم: راجع إلى العوامل الخارجية التي تمكن العبد من القيام بالأفعال كالآلات والمال وغيرها (ابن تومرت، 2007م، 197) وكلام ابن تومرت في الاستطاعة غير واضح من جهة تعيين دورها في إحداث الفعل، غير أنه -كما اتضح سابقا- نسب له القول بالكسب. وأما مسألة التكليف بما لا يطاق فقد خالف فيها ابن تومرت الأشاعرة؛ إذ صرح بمنعها مراراً في رسائله منها قوله: (والتكليف بما لا

[44] أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني، ولد بين سنتي (320هـ) و (325هـ) إليه انتهت رياسة المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها، له مصنفات عدة منها: المغني وشرح الأصول الخمسة. توفي سنة(415هـ). انظر: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة 38.

[45] الماتريدية: فرقة كلامية، تنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها. انظر: التوحيد للماتريدي 9. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب 95/1.

يطاق محال) (ابن تومرت، 2007م، 53) وبناء عليه فإن قول ابن تومرت مضطرب في هذه المسألة.

6- إرسال الرسول: وافق ابن تومرت الأشاعرة في قولهم بأن بعثة الرسل جائزة لا واجبة على الله كما تقوله المعتزلة. فقال: (...وتجويز إرسال الرسل) (ابن تومرت، 2007م، 209)

7- مفهوم المعجزة: عرّف ابن تومرت المعجزة في فصل أفرده بعنوان: فصل في إثبات الرسالة بالمعجزات. قال فيه: (وبالضرورة يعلم صدق الرسول لظهور الآيات الخارقة للعادة على وفق دعواه، وبيان ذلك أن مدعي الرسالة لا يخلو من ثلاثة أقسام) ثم قال في القسم الثالث: (أو يأتي بالأفعال الخارقة للعادة كانفلاق البحر، وانقلاب العصى حية، وإحياء الموتى، وانشقاق القمر، معجزة له، ثبت صدقه لانفراد الباري سبحانه باختراعها وإظهارها على وفق دعواه) (ابن تومرت، 2007، 222). وهو موافق لتعريف الجويني للمعجزة، حيث قال: (هي أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة، وظاهرها على حسب دعوى النبوة) (الجويني، 1407هـ، 124) غير أن الجويني فسر دعوى النبوة بقوله: (هو تحديه) (الجويني، 1407هـ، 124) في حين لم يذكر ابن تومرت قيد التحدي في تعريفه للمعجزة، ولعله المراد بالقيد الذي وضعه في التعريف بالمعجزة حين قال: (على وفق دعواه). وفي الجملة فإن ابن تومرت وافق الأشاعرة في حصر دلالة النبوة في المعجزة.

8- تفسير الإيمان: للأشاعرة قولان في الإيمان أحدهما: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وهو أحد قولي أبي الحسن الأشعري ذكره في المقالات ضمن مقالة أصحاب الحديث، وأخبر بعد أن انتهى من سرد مقالة أهل السنة، اتباعه لمذهبهم فقال: (وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب) (الأشعري، 1426هـ، 229/1) القول الآخر لأبي الحسن: هو أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب (الأشعري، 1955م، 123) وهو القول الذي اشتهر عند الأشاعرة، وأخذه أئمتهم بعد الحسن الأشعري، فاستقر عليه المذهب. وابن تومرت في كتبه ورسائله يعرف الإيمان بأنه التصديق، فقال: (والإيمان هو التصديق) (ابن تومرت، 2007م، 206) وقال في موضع آخر: (فأصل الإيمان في اللغة التصديق بالشيء، يقال: آمن فلان بكذا، أي صدقه، وآمن بالوثن وبالسحر، أي: صدقهما، ثم إن الشرع خصصه وقصره على الذي يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاءت به رسله) (ابن تومرت، 2007م، 177)

هذه جملة المقالات التي وافق فيها ابن تومرت الأشاعرة، والمتحقق باعتبار ما سبق عرضه من معتقد ابن تومرت الذي يظهر من خلال مجموع آثاره: أن ابن تومرت ليس له اختصاص بطائفة من الطوائف، ولا مقالة من مقالات الفرق يلتزمها على تمام تفصيل أصحابها، بل هو متأثر في أصوله بجملة من الطوائف، فأقواله لها صلة بالمعتزلة، والشيعة، والأشاعرة، وهو في أكثر أقواله على طريقة الأشاعرة. وبعد الوقوف على مذهب ابن تومرت وتفصيل القول فيه، لا بد من الحديث عن المرحلة الرابعة من مراحل المذهب الأشعري في المغرب العربي: مرحلة الانتشار: وهي المرحلة التي تبدأ سنة [524 هـ] في عهد خلافة عبد المؤمن بن علي، للمهدي ابن تومرت، وخلافته كانت حدثاً ذا شأن، كما كانت فاتحة عهد جديد في تاريخ الدولة الموحدية، هو عهد التوطد والنماء (عنان، 1417هـ، 219/3) ومما تواترت الأخبار التاريخية به هو تتلمذ عبد المؤمن بن علي على ابن تومرت؛ حيث التقى به في إحدى مناطق المغرب العربي في أوائل سنة [512هـ]، وابن تومرت يومئذ يقود حملته المعروفة ضد المنكر، فآنس فيه ابن تومرت نجابة وذكاء، وشعر أنه سوف يغدو أعظم معاونيه، فاستطاع أن يقنعه بالبقاء إلى جانبه يطلب العلم على يديه، ويساعده فيما هو قائم به من إماتة المنكر، وإحياء العلم، وإخماد البدع. وقد بقي عبد المؤمن من ذلك التاريخ إلى جانب ابن تومرت، ولازمه واختص به، يؤازره في دعوته، وحتى إعلان ابن تومرت أنه هو المهدي المنتظر، ومبايعة أصحابه له وفي مقدمتهم عبد المؤمن؛ وبناء على هذه المنزلة التي احتلها عبد المؤمن لدى ابن تومرت، فقد أكدت بعض المصادر التاريخية أنه قد تلقى بيعته عقب وفاة المهدي مباشرة (المراكشي، 1426هـ، 147).

سار عبد المؤمن على نهج إمامه ابن تومرت، فاستهل حكمه بمواصلة قتال المرابطين؛ إذ عقد للموحدين مجلساً، ووعظهم وكتب لهم الجرائد بالوعظ والاعتراف، ووزعها على أشياخ الموحدين، وأمرهم باستعمال السيف في تنفيذها؛ حيث عهد إلى أشياخ مختلف القبائل وزعمائها، بجريدة أو قائمة، تحتوي على مئات من أسماء المارقين، والمشكوك في ولائهم، أو من يصفهم مؤرخ الدولة الموحدية " بأهل التخليط والمعاندين (الصنهاجي، 109) في محاولة منه لقطع سبيل كل خارج على دولة الموحدين، استمر عبد المؤمن وجيشه في محاربة المرابطين حتى مزقوا أوصال دولة المرابطين في المغربين الأقصى والأوسط سنة [541هـ]، ثم أخذ عبد المؤمن في تنظيم دولته بعد أن استقرت له الأمور، فألزم العامة بقراءة وحفظ عقيدة المرشدة التي كتبها ابن تومرت، وكان يبعث نسخاً من كتاب المهدي "أعز ما يطلب" إلى الولاة، يأمرهم بالتقيد بما فيه، وأصدر أوامره إلى نوابه في البلاد بضرورة الأخذ بتعاليم ابن تومرت كافة، فجاء في أحد هذه المراسيم: (ويؤمر الذين يفهمون اللسان العربي ويتكلمون به أن يقرأوا التوحيد بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ويحفظوه، ويفهموه، ويلازموا قراءته ويتعهدوه، ويؤمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعهدها على سبيل التفهم والتبين والتنبه والتبصر، ويلزم العامة ومن في الديار بقراءة العقيدة المرشدة وحفظها وتفهمها، وأشمل في هذا الالتزام الرجال والنساء، والأحرار والعبيد، وكل من توجه

عليه التكليف، إذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد، فمن لم يعرف المرسل لم يصدق الرسالة، ومن حصل على مثل هذه الحالة فقد تعثر في أذيال الضلالة) (الصنهاجي، 404) ولم يكتف عبد المؤمن بإصدار الأوامر، بل قد تميز عهده ببناء المؤسسات التعليمية التي أدت دوراً كبيراً في انتشار المذهب الأشعري في المغرب العربي.

ترسخ المذهب الأشعري خلال هذه المراحل الأربعة وانتشر في أرجاء المغرب العربي، وبرز أعلام الفكر الأشعري في المغرب، فقاموا بتدريس مبادئ الأشعرية للعامة، ومنهم من قام بالتأليف في المذهب، وتنظيم الأراجيز فيها ليسهل على العامة فهمها وحفظها. والجدير بالذكر أنه عند تسلم يعقوب المنصور[46] (المراكشي، 1426هـ، مقاليد الحكم في الدولة الموحدية تميز عهده بأمرين هما:

1- إعلان فساد أقوال ابن تومرت فيما يتعلق بالمهدية والعصمة: فصرح يعقوب المنصور بهذا في مناسبات عدة.[47] إلا أنه لم يلزم العامة بشيء من آرائه هذه في ابن تومرت، ولعل موقفه من مهدية ابن تومرت وعصمته، بذرة آتت أكلها في عهد المأمون الموحدي إذ أصدر مرسوماً يقضي بفساد عقيدة ابن تومرت صرح فيه أن رأيه هذا إنما كان متبعاً فيه للخليفة المنصور، وأن المنصور إنما أراد أن يصدع بفساد هذه العقيدة غير أن المنية أدركته. فقال في مرسومه: "ولتعلموا أنا نبذنا الباطل، وأظهرنا الحق، وأن لا مهدى إلا عيسى بن مريم، وما سمى مهدياً إلا أنه تكلم في المهد، وتلك بدعة قد أزلناها، والله يعيننا على القلادة التي تقلدنها وقد أزلنا لفظة العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فتسقط وتبيت، وتمحى ولا تثبت. وقد كان سيدنا المنصور، رضي الله عنه، هم أن يصدع بما به الآن صدعنا، وأن يرقع للأمة الخرق الذي رقعنا، فلم يساعده لذلك أمله، ولا أجّله إليه أجله، فقدم على ربه بصدق نية، وخالص طوية، وإذا كانت العصمة لم تثبت عند العلماء للصحابة، فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه، أف لهم قد ضلوا وأضلوا، ولذلك ولوا وذلوا، ما تكون لهم الحجة على تلك المحجة، اللهم اشهد، اللهم اشهد أنا قد تبرأنا منهم تبرأ أهل الجنة من أهل النار، ونعوذ بك يا جبار من فعلهم الرثيث، وأمرهم الخبيث، إنهم في المعتقد من الكفار، وإنا فيهم كما قال نبيكم عليه السلام " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا " والسلام على من اتبع الهدى واستقام "[48]. وبهذا المرسوم الصادر في أواسط القرن السابع الهجري انتهى تاريخ العقيدة الموحدية في المغرب العربي والتي كانت عبارة عن جمع بين أقوال جماعة من الفرق، وبقيت الأقوال التي وافق ابن تومرت فيها الأشاعرة، لذا فإنه في أواسط القرن السابع الهجري وما بعده كان المغرب العربي في الاعتقاد على قول الأشاعرة.

2- جعل المذهب الظاهري مذهباً رسمياً لدولة الموحدين: تقدم القول بتبني ابن تومرت للمذهب الظاهري، وعلى هذا سار خلفائه من بعده، غير أن الخليفة يعقوب المنصور لم يكتف بالدعوة إلى المذهب والاجتهاد على أصوله كشأن أبيه وجده، وإنما اتخذ قرارا يقضي بجعل المذهب الظاهري مذهباً رسمياً للدولة، تضمن هذا القرار محاولة محو مذهب الإمام مالك - رحمه الله- الذي كان ذائعاً في المغرب العربي، والتنكيل بالمالكية؛ فشن يعقوب المنصور حملة للقضاء على المذهب المالكي ابتدأها بإحراق أمهات كتب الفقه المالكي[49]، تلا ذلك امتحان علماء المالكية أنفسهم "بسبب أخذهم في الشريعة بمذهب مالك -رحمه الله"[50] فضُرب العلماء بالسياط، وقتل بعضهم، وأُلزم آخرون الأيمان المغلظة على أن لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه[51].

الخاتمة: خلص البحث إلى أمرين مهمين: أحدهما: النتائج، ومن أبرزها ما يلي:

1- مر المذهب الأشعري في المغرب العربي بأربعة مراحل.

2- وجود المذهب الأشعري في المغرب العربي خلال المرحلة الأولى، كان وجوداً محدوداً في آحاد الأفراد.

3- عرفت بلاد المغرب الأقصى المذهب الأشعري مع أبي بكر المرادي، في حين عرفت إفريقية المذهب الأشعري مع إبراهيم القلانسي وأبي عمران الفاسي.

4- تميزت المرحلة الثانية من مراحل المذهب الأشعري في المغرب، بوجود أعلام المدرسة الأشعرية الكبار.

5- إن مرحلة الترسيم والترسيخ للمذهب الأشعري في المغرب العربي قد حمل لواءها ابن تومرت.

6- تمثل دور ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري في المغرب العربي بأمرين:

أ- استخدام السلطة السياسية في نشر المذهب الأشعري في المغرب العربي.

ب- التأصيل العلمي للمذهب.

7- ابن تومرت ليس له اختصاص بطائفة من الطوائف، ولا مقالة من مقالات الفرق يلتزمها على تمام تفصيل أصحابها، بل هو متأثر في أصوله بجملة من الطوائف، فأقواله لها صلة بالمعتزلة، والشيعة، والأشاعرة، وهو في أكثر أقواله على طريقة الأشاعرة.

8- العقيدة التي وضعها ابن تومرت تمثلت في: الدعوة إلى الرجوع مباشرة إلى الكتاب والسنة، والأخذ بنظرية الشيعة

---

[46] أبو يوسف يعقوب بن أبي يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي، القيسي الكومي، ولد سنة (554هـ) تولي الوزارة في عهد أبيه، فعرف أحوال الناس وسياسية الحكم، ثم بويع بالحكم بعد وفاة أبيه، كان جوادا شجاعا كريما عالما، توفي سنة (595هـ). انظر: وفيات الأعيان 3/7.

[47] انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب 212.

[48] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب 361/4.

[49] انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب. 202.

[50] الاعتصام 113/1.

[51] انظر: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 396/8.

والمعتزلة في بعض المسائل العقدية، كما أخذ بقول الأشاعرة في مسائل عقدية أخرى.

9- بدأت مرحلة الانتشار للمذهب الأشعري في المغرب العربي بعد وفاة ابن تومرت وتسلم عبد المؤمن بن علي زمام الأمور في الدولة، حيث اتخذ بعض الإجراءات التي كان من شأنها أن ترسخ المذهب في الدولة؛ كإلزامه العامة بحفظ كتب ابن تومرت، وبنائه للمؤسسات التعليمية.

ثانياً: كانت أهم التوصيات ما يلي:

- دراسة تاريخ المذهب الأشعري في القرن السابع الهجري وما بعده.

- دراسة لأقوال أصحاب المذهب وملاحظة تطورها من القرن السابع وحتى وقتنا الحاضر.

المصادر والمراجع

- السلاوي، شهاب الدين (1418هـ) *الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، دار الكتاب.
- الذهبي، شمس الدين محمد (1405هـ) *سير أعلام النبلاء*، ط 3، مؤسسة الرسالة
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد (1411هـ) *درء تعارض العقل والنقل*، ط2، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- التهامي، إبراهيم (1426هـ) *أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية*، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- التادلي، يعقوب بن يوسف (1404هـ) *التشوف إلى رجال التصوف*، المغرب، منشورات كلية التربية بالرباط.
- القضاعي، محمد بن عبد الله (1415هـ) *التكملة لكتاب الصلة*، لبنان، دار الفكر.
- الباقلاني، أبوبكر (1418هـ) *التقريب والإرشاد الصغير*، ط2، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الدباغ، عبد الرحمن بن محمد (1388هـ) *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، ط2، مصر، مكتبة الخانجي.
- محفوظ، محمد (1994م) *تراجم المؤلفين التونسيين*، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- الحنفي، يوسف بن تغردي بردي (1348هـ) *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، مصر، دار الكتب.
- اليحصبي، عياض بن موسى، (1983م) *ترتيب المدارك وتقريب المسالك*، المغرب، مطبعة فضالة.
- الذهبي، شمس الدين محمد (1413هـ) *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي.
- القضاعي، محمد بن عبد الله (1420هـ) *معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي*، ط1، مصر، مكتبة الثقافة.
- السبتي، عياض بن موسى (1402هـ) *الغنية في شيوخ القاضي عياض*، ط2، دار الغرب الإسلامي.
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، القاهرة، دار التراث.
- المراكشي، عبد الواحد (1426هـ) *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، ط1، بيروت، المكتبة العصرية.
- المراكشي، حسن بن علي (1410هـ) *نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان*، ط2، دار الغرب الإسلامي.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (1401هـ) *العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، بيروت، دار الفكر.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (1434هـ) الاعتصام، بيروت، المكتبة العصرية.
- مجهول، (1072م) *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، دار المنصور.
- الشهرستاني، محمد (1433هـ) *الملل والنحل*، بيروت، المكتبة العصرية.
- ابن تومرت، محمد (2007م) *أعز ما يطلب*، الجزائر، وزارة الثقافة.
- عنان، محمد، (1417هـ) دولة الإسلام في الأندلس، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- ابن تيمية، أحمد (1406هـ) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ط1، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ابن تيمية، محمد (1433هـ) *شرح الأصبهانية*، ط2، السعودية، دار المنهاج.
- ابن تيمية، محمد (1408هـ) الفتاوى الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية.
- الأشعري، علي بن إسماعيل (1426هـ) *مقالات الإسلاميين*، ط1، المكتبة العصرية.
- ابن حزم، محمد بن علي، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، مصر، المكتبة التوفيقية.
- ابن تيمية، محمد (1426هـ) *بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية*، ط1، السعودية، مجمع الملك فهد.
- الجويني، عبد الملك (1407هـ) *لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة*، ط2، لبنان، عالم الكتب.
- الجويني، عبد الملك (1412هـ) *العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية*، مصر، المكتبة الأزهرية.
- ابن تيمية، محمد (1425هـ) مجموع *الفتاوى*، السعودية، مجمع الملك فهد.
- النجار، عبد المجيد (1403هـ) *المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب*، ط1، دار الغرب الإسلامي.
- عيسى، محمد، *التحقيق في عقيدة الموحدين من خلال رسائل ابن تومرت وآثاره*، مركز سلف للبحوث والدراسات، أوراق علمية رقم (368).
- النووي، محيي الدين (1414هـ) *المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، مؤسسة قرطبة.
- ابن حزم، محمد بن علي (1437هـ) *المحلى بالآثار في شرح المحلي بالاختصار*، ط1، لبنان، دار ابن حزم.
- الأشعري، موسى (1955م) *اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع*، مطبعة مصر.
- الرازي، فخر الدين محمد، *محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين*. القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

- الغزالي، أبو حامد (1430هـ) *الاقتصاد في الاعتقاد*، مصر، دار الكتب المصرية.
- الهمذاني، عبد الجبار، *المختصر في أصول الدين*.
- الرازي، فخر الدين (1407هـ) *المطالب العالية من العلم الإلهي*، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الماتريدي، محمد بن محمد (2006م) *التوحيد*، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الصنهاجي، أبي بكر بن علي، *أخبار المهدي بن تومرت*، الرباط، دار المنصور.
- المراكشي، ابن عذاري (2009م) *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية.
- المراكشي، العباس بن إبراهيم (1413هـ) *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ط2، الرباط، المطبعة الملكية.
- ابن عساكر، علي بن الحسن(1404هـ) *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري*، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الشهرستاني، محمد أبي الفتح (1433هـ) الملل والنحل، ط2 بيروت، المكتبة العصرية.
- البغدادي، أحمد بن علي (1422هـ) تاريخ بغداد، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد (1994م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1، بيروت، دار صادر.
- السبكي، تاج الدين (1413هـ) طبقات الشافعية الكبرى، ط2، هجر للطباعة والنشر.
- المحمود، عبد الرحمن بن صالح (1415هـ) موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ط1، الرياض، دار الرشد.
- نور، خالد بن عبد اللطيف (1416هـ) منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، ط1، مكتبة الغرباء الأثرية.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت (1995م) معجم البلدان، ط2، بيروت، دار صادر.
- البغدادي، محمد بن حوقل (1938م) صورة الأرض، ط1، بيروت، دار صادر.
- الوزان، حسن بن محمد (1983م) وصف إفريقيا، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (1850م) تقويم البلدان، ط1، بيروت، دار صادر.
- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (1977م) الفرق بين الفرق، ط2، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (1406هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1، دمشق، دار ابن كثير.
- الزركلي، خير الدين بن محمود (2002م) الأعلام، ط15، دار العلم للملايين.
- سعد، قاسم علي (1423هـ) جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، ط1، دبي، دار البحوث.
- بشكوال، خلف بن عبد الملك (1374هـ) الصلة تاريخ أئمة الأندلس، ط2، مصر، مكتبة الخانجي.
- مخلوف، محمد بن محمد (1424هـ) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية.
- قربة، صالح (2005م) تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، ط1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث.
- الضبي، أحمد بن يحيى (1967م) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ط1، القاهرة، دار الكتاب العربي.
- بن ماكولا، علي بن هبة الله (1411هـ) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الميورقي، محمد بن فتوح (1966م) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط1، القاهرة، الدار المصرية.
- علام، عبد الله (1968م) الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ط1، مصر، دار المعارف.
- ابن تيمية، محمد (1419هـ) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ط2، الرياض، دار العاصمة.
- القاضي، عبد الجبار، البلخي، أبو القاسم، الجشمي، الحاكم (1439هـ) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ط1، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث.
- مجموعة من الباحثين (1424هـ) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الرياض، دار الندوة العالمية.
- تاوشيخت، الحسن (1429هـ) عمران سجلماسه دراسة تاريخية وأثرية، المغرب، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- اليعقوبي، أحمد (1422هـ) البلدان، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- العفيفي، عبد الحكيم (1421هـ) موسوعة ألف مدينة إسلامية، ط1، بيروت، أوراق شرقية.